حيوانات وردت في آيات

(١)

ذِئْب إِخْوَةِ يُوسُف

أحمد سويلم

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

ذئب إخوة يوسف. -ط٢. - الرياض، ١٤٢٧هـ

١٦ ص ؛ ١٧×٢٢سم (حيوانات وردت في آيات؛ ١)

ردمك: ٩-٩٣٠-٤٠-٩٩٦٠

١-قصص القرآن. ٢- قصص الأطفال. أ - العنوان

ب- السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٧/٨٦٢

ردمك: ٩-٩٣٠-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٦٢

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة ودار العبيكان Obeikan

Publishers & Booksellers

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

[يوسف : ١٧]

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول فيه الرسول الكريم ﷺ:

«إن الشَّيْطَانَ ذئبُ الإنْسَانِ، كَذئْب الغَنَم يأخُذُ الشَّاةَ القاصيةَ والناحيةَ فإيَّاكم والشِّعَاب».

رواه الإمام أحمد ٥/ ٢٣٢

وقد عَرفَهُ أهلُ البادية أكثرَ الحيَوانات عُواءً، وحاسَّةُ الشمِّ لدَيه قويةٌ؛ حيثُ يدركُ المَشمومَ علَى مسَافة بَعيدة.

وأكثرُ ما يهاجِمُ الذئبُ الغنمَ في غَيْبَة الكَلْب.

ومن عَجيب أمْره أنه ينامُ بإحدَى عَيْنَيه، ويتيقَّظُ حذرًا بعَيْنه الأخْرَى. وإذا لَقيَ إنسانًا، فإذا خافَ منه عَوَى عُواءَ استغَاثة، فتسمَعُه الذئابُ فتجتمعُ على قَتْل الإنسَان، فإذا أفلحَ الإنسانُ في النَّيْل من أحَدهَا وثَبَتْ بقيةُ الذِّئاب علَى الذِّئْبِ الجَريحِ وتركَت الإنسانَ. أمَّا إذا خافَه الإنسانُ طَمعَ فيه.

وأكثرُ الذِّئاب براءةً من ذلك ذئبُ إخْوَة يوسُفَ؛ فلَيسَ لهُ وجودٌ، وإنما أوجدَه إخوةُ يوسُفَ ليبرِّرُوا به فعلتَهم وجَريمَتَهم.

فَما هيَ إذنْ قصةُ هذا الذِّئْب الوَهْميِّ الذي اتَّهَمَه إخوةُ يوسفَ؟

إن قصةَ يوسفَ ـ عليه السَّلام ـ من أكْثَر قصَص القُرآن تشويقًا، ولهذَا أفرَدَ لها اللهُ ـ سبحانَه وتعالَى ـ سورةً كاملةً، وبدَأهَا بقَوْله تَعالىَ:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف،١:٣].

أما يوسفُ فهُوَ ابنٌ ليَعْقُوبَ عليه السلامُ، وأقربُ أبنائه إلى قَلْبه.

وكانَ يعقوبُ يحبُّ يوسفَ أكثرَ من بَاقي أبنَائه؛ لِمَا كانَ يتوسَّمُ فيه من الجَلالة والمهَابة التي كانَتْ علَيه في صِغَره، ولِما يريدُ اللهُ أنْ يَخُصَّه به من النبُوَّة.

أمَّا إخوةُ يوسفَ فقدْ كَانُوا عشرةَ إخْوَةٍ يكبُرونَ يوسُفَ، وأخَاه الصغيرَ بنيامينَ.

ويُلاحظُ إخوةُ يوسفَ كيفَ أنَّ أبَاهُم يخصُّ يوسفَ بحنَانه وعَطْفه، مَعَ أنَّهُ لم يُميِّزْ بَينهم في المُعَاملةِ والحُقوقِ.

وقد تركَ ذلكَ في نُفُوسِهم مجالاً للأحْقَادِ والكرَاهيةِ.

ويَأتي صَبَاحٌ، يقومُ يوسفُ من نَوْمه على حُلْمٍ مُحيِّرٍ، فانطلقَ إلى أبيه وقلبُه يدُقُّ طمعًا في تَفْسير الحُلْمِ، وفَكِّ رُموزِه.

حيَّا يوسُفُ أبَاه، فردَّ أبُوه التَّحيَّةَ، وقبَّلَه، ثُم لاحظَ الأبُ حَيرةَ وَلَده في عَيْنَيْه، فسَأله: ماذَا بِكَ يا وَلَدِي؟!

قالَ يوسفُ: خيرًا يا أبَتِ. رأيتُ في نَومِي حُلْمًا عَجيبًا، وأريدُ منك أن تُؤَوِّلَهُ لي.

قال الأبُ: قُصَّ عليَّ حُلْمَكَ يا ولَدي!

قالَ يوسفُ: ﴿... يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

أيُّ حُلْمٍ هذَا الذي رَأى يوسُفُ؟! وأيُّ رَمْزٍ عَميق ينطَوِي علَيه؟!

تهلَّلَ وجهُ نبيِّ اللَّه يعقوبُ، وبرقَتْ عَينَاه بالسُّرُور، وضَمَّ يوسُفَ إلى صَدْره، ثُمَّ قالَ هامسًا:

- يا ولَدي، إنَّها رؤيَا صادقةٌ، وهيَ بُشْرَى لَك بمَا سوفَ يَهَبُ لكَ اللهُ من فَضْله، سوفَ يُعطيكَ اللهُ العلمَ والنِّعمةَ والمكانةَ.

ثُم اقتربَ نبيُّ اللَّه يعقوبُ أكثَرَ من أذُن ولَده، وقالَ: لكنِّي أنصحُكَ ياولَدي ألا تَقُصَّ رُؤياكَ علَى إخْوَتك؛ فأنَا أعلمُ بهم منكَ.

قالَ يوسفُ: كَما تَرَى يا أبَت.

لَم يكُن إخوةُ يوسُفَ في حاجَة إلى مَزيد من الأسبَاب لكيْ يزدادُوا حِقْدًا وحَسَدًا وبُغْضًا ليوسُفَ وأخيه.

وكانَ يوسفُ من أجملِ النَّاسِ وَجهًا وخُلُقًا؛ فَلمْ يكُنْ في قَلْبه مكانٌ للحقْد؛ فقدْ مَلأه اللهُ تعالَى بالحُبِّ والإيمَان والصَّلاحِ.

لقدْ سعدَ يعقوبُ بولَده يوسُفَ، وأيقنَ أنَّ اللهَ سوفَ يُهيِّئُ لَهُ شأنًا كَبيرًا بهذه الرُّؤْيَا الصَّادقة.

أمَّا إخوتُه فلَمْ يكُنْ لَهُمْ شُغلٌ يشغَلُهم إلا الخَوْضُ في إيثَارِ أبيهم ليوسُفَ وتَفْضيله عَلَيهم.

وفي يَوْمٍ اجتمعَ الإخْوَةُ وكُلٌّ منهُم يحملُ دَاخلَه نارًا مشتعلةً علَى أخيهم يوسُفَ.

قالَ أحَدُهُم: علَيْنَا أن نبحثَ الآنَ أمرَ يُوسُفَ، ونجتمعَ علَى رَأيٍ وَاحدٍ.

قالَ آخَرُ: نبدَأ ونسألُ: لماذَا يحبُّ أبُونا يُوسُفَ أكثرَ منَّا!

وهتفَ ثالثٌ: إنَّه لا يَعملُ مثْلَنا!

قالَ آخرُ: وهو أصغرُ منَّا بكَثيرٍ.

وقالَ آخَرُ: وليسَ قَويّاً مثْلَنا.. ومضَى الإخوةُ يَسْرُدُونَ عَشَرات الأسبَاب التي يظنُّون أنَّها السِّرُّ في حُبِّ أبيهم ـ عليه السلامُ ـ لابنِه يوسفَ.

المهمُّ أنَّهُم اتَّفقُوا علَى أنَّ يوسُفَ أحبُّ إلى أبيهم منهُم، فهم يُعانُونَ ذلكَ أشدَّ المُعَاناة. ولذلكَ ناقَشُوا الأمرَ بينَهم واتَّفقُوا علَى وُجُوب التَّخلُّص من يُوسُفَ.. وتَداولُوا الرَّأيَ، فَمنْهُم مَن قالَ: نقتلُه، ومنهُم مَن قالَ: نذهبُ به بعيداً حيثُ تأكلُه الوُحوشُ. واستقرَّ رأيُهم الأخيرُ علَى أن يُلْقُوه في البِئْر التي يَعْرفُونَها علَى طَريق القَوَافل، وبهَذا لا يَحْملونَ عِبْءَ قَتْلِه.

وجاؤوا أبَاهُم، فعَرضُوا علَيه أنْ يأذَنَ لهم بخُرُوج يوسفَ ليلعبَ ويلهُوَ معَهُم، وظلُّوا يُقنعُونَه حتَّى وافقَ.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: ١١-١٤].

وفي صَبَاح اليَوْم التَّالي خَرجَ الإخْوَةُ العَشرةُ ومَعَهُم يوسفُ. لم يكُنْ يوسُفُ يعرفُ تمامًا طُرُقَ الرَّعْي، ولا في أيِّ مَكَان يَرْعَى إخْوَتُه، لهذَا حينَما اتَّخَذُوا طريقًا مغايراً حسبَه يوسُفُ طريقَ الرَّعْي.

ويظلُّ الإخْوَةُ سائرينَ حتَّى يصلُوا بيوسفَ إلى الجُبِّ. وهناكَ توقَّفُوا، وتلفَّتُوا في كُلِّ مَكَان لكي يطمئنُّوا أنَّه لا يوجدُ أحدٌ يراقبُهم.

ثم هَجَمُوا علَيْه كالوُحُوشِ الضَّارية، فجرَّدُوهُ من قَميصِه وهو يسألُهُم: ماذَا ستفعلُونَ بي؟!

أخذَ يقاومُ ويقاومُ، لكنَّهم انهالُوا عليه ضربًا، وهو يَستغيثُ، ولا أحدَ يسمعُ في هَذه الصَّحراء الممتدَّة.

ولكَيْ يَهْدأَ ربَطُوه من يَدَيْه إلى عُنُقه بحَبْل مَتين، ثُم أخَذُوا ينزلُونَه في البئْر، وهو يصيحُ بهم دُونَ رَحْمةٍ من أحَد.

ويَهبطُ يوسفُ إلى عُمْق البئْر، ويصطَدمُ بجُدْرَانها حتَّى تَعلَّقَ بصَخْرَة بارزَة في جدَارها الداخليِّ، تمكَّنَ من الجُلُوس علَيْها، ومن تحَته الماءُ، فحمدَ اللهَ علَى هَذا، وانتظَرَ ما تأتي به المقاديرُ.

أمَّا الإخوةُ فقدْ أسرعُوا بالابتعَاد عَن المكَان، ومعَهُم قميصُ يوسُفَ.

واتَّفَقُوا على أن يُلَطِّخُوا القَميصَ بالدَّم، ويقولُوا لأبيهم: إنَّ الذِّئْبَ أكلَ يوسُفَ حينَما تركُوه عندَ مَتَاعهم وذَهبُوا يَستَبِقُونَ.

وعادُوا إلى أبيهم بالخَبَر الأليمِ، وبالدَّعْوَى الكَاذبة، متظاهرينَ بالبُكَاء والحُزنِ، فأدركَ يعقوبُ ـ عليه السلامُ ـ أنَّ الأمرَ على خلافِ مَا يُقولونَ.

وأدركَ أنَّهم يَكْذبونَ؛ فكَيفَ يأكلُ الذِّئبُ يوسفَ دُونَ أن يُمَزِّقَ قميصَه؟! وأمرَهُم بالانصرَاف وهُو يُتَمْتمُ: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ

﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٦-١٨].

ويعودُ الإخوةُ إلى مَجْلسهم في اللَّيل.

لقدْ أدركَ بعضُهم أنَّ أباهُم لا يصدِّقُ ما أخبَرُوه به، وأنَّه علَى يَقين من كَذبهم، وسكتُوا علَى ذلكَ وأملُهم أن يَطوي النِّسيانُ هذَا الحدثَ الكبيرَ، ولكنَّ الجريمةَ كبيرةٌ، والكذبَ فيها واضحٌ، والذئبَ فيها بريءٌ، بلْ كلّ الذِّئاب التي علَى وَجْه الأرْضِ بريئةٌ منهَا.

ولَو أنَّ ذئابَ الصَّحراء جَميعًا سُئلتْ عَن ذلكَ لأجمعَتْ أنَّها لا تأكلُ الأنبياءَ.

لقدْ وقعَ الجميعُ في محْنَةٍ، لكنَّ محنةَ كُلِّ فَريق تختلفُ عَن محْنَة الآخَر. وهذَا يَعْقُوبُ ـ عليه السلامُ ـ يعيشُ في محنَة قاسيَة، محْنَة فَقْد يوسُفَ، أعزِّ النَّاس علَى قَلْبه، وأقْربهم إلى نَفْسِه، وصَاحبِ الرُّؤيَا التي لا

تكذبُ، والتي توضِّحُ لهُ طريقَ المستقبَل.

أخذَ يدعُو اللهَ أن يمنَحَه الصَّبرَ، وأن يكشفَ له عن سرِّ هَذه الأكْذُوبة.

لكَ اللهُ يا نبيَّ الله، وكانَ في عَوْنكَ يا رمزَ الصَّبْر والتَّحَمُّل، إنَّكَ قريبٌ إلى اللَّه، وإنه يَبْتَليك، ولا بدَّ أنَّكَ تَدْعُوه أن يُلهمَكَ الصَّوابَ ويطلعَكَ علَى حَقيقةِ الأمْر.

أمَّا إخوةُ يوسفَ فقدْ تمكَّنَ الشيطانُ من قُلوبهم، وأحالَها أحجارًا صَلدةً بلا رَحْمة، لكنَّهم بما أضمَرُوا من شَرٍّ وفسَاد، وقلَّة عَقْل فَقَدُوا المحبَّةَ والتَّعاطُفَ والحنَانَ، وأحسُّوا بثقَل الجُرْم الذي ارتكَبُوه في حقِّ أخيهم يوسُفَ، وفي حقِّ أبيهم حينَ حرمُوه من حَبيبِه، ثُم هُمْ يَرْوُون لَه أنْ يُوسُفَ قَد أكلَهُ الذئبُ، ثم يُحضرونَ قميصَه ملطَّخًا بدَمِ شَاةٍ مُحاولينَ إقناعَ الأبِ أنَّ هذَا الدَّمَ هو دَمُ أخيهمْ يوسُفَ.

لقَدْ بَرِئَ منهُم الذِّئبُ، وكانُوا هُم أكثرَ من الذِّئب حيلةً وخديعةً وخيانةً.

وهكذا دائماً حبلُ الكذبِ قصيرٌ، وأمرُه مفضوحٌ، والحيلةُ فيه مكشوفةٌ، ومهما حاول صاحب الكذب أن يأتيَ بأدلة كما فعل إخوةُ يوسفَ بالدم

على القميص، أو تظاهرَ بالصدق كما فعلوا بالبكاء فإنه لابدَّ أن يُفضحَ شرَّ فضيحة، وتكونُ العاقبةُ للصدق والصادقين كما حصلَ ليوسفَ عليه السلام في النهاية.

أمَّا يوسفُ فإنَّ محنَته بين يَدَي اللّه.

وتَحكي لنَا القصةُ أنَّ قافلةً مَرَّتْ بالجُبِّ وكانَتْ تريدُ ماءً، فأدْلَى أحدُهم بدلْوه إلى المَاء، فصَعِدَ يوسفُ معَ الدَّلْو، فَيَحْملُونَه إلى مصرَ، ويبيعُونَه إلى عَزيز مصرَ.

وتتوالَى الأحداثُ بفصُول مختلفَة لا مجالَ هُنَا لسَرْدها، حتَى تَصل إلى النهاية، حيثُ يفقدُ يعقوبُ بصَرَه من شدَّة البُكاء علَى يوسفَ.

أمَّا يوسفُ فيصبحَ عزيزَ مصرَ والمتصرِّفَ في خَيْراتها.

ويأتي إخوتُه إليه ضمنَ مَن جاؤوا يطلبُون الزاد. ويعرفُهم، ويحتالُ لإحضَار أخيه بنيَامين.

ثمَّ ها هو يرسلُ إلى أبيه قميصَه فيرتدُّ بصيرًا. ويسعَى الأبُ إلى وَلده فيستقبلُه شَوقاً ومحبَّةً ورحمةً بقَلبه الكَبير وصَبْره النَّبيل.

ويبقَى ذئبُ إخوَة يوسفَ ذكْرَى علَى مَدَى التَّاريخ. فيُضْرَبُ به المَثَلُ لمن يُتَّهَمُ زوراً وبهتانًا، فيقالُ: إنَّه بريءٌ من التُّهمَة بَراءةَ الذِّئبِ من دَمِ ابنِ يَعْقُوبَ!

obeikandl.com

obeikandl.com

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢